

وظيفة المدينة والشرطة في الأندلس

وآراء بعض المؤرخين فيهما

أ.م.د. برزان ميسر حامد الحميد*

تاريخ التقديم: ٢٠١٨/٩/٢٣

تاريخ القبول: ٢٠١٨/١٠/٢٢

المقدمة:

الوظيفة تعني الخطة، والخطة في المصطلح الأندلسي تعني الديوان، وكان استعمالها أكثر شيوعاً من لفظة الديوان التي ترد أحياناً في مؤلفاتهم. ووظيفة (خطتا) المدينة والشرطة من الوظائف البارزة في الدولة وكان متوليها يختار من ذوي المكانة الاجتماعية والكفاءة العسكرية والحنكة الإدارية فضلاً عن المستوى الخلفي الرفيع. إذ إن هاتين الوظيفتين لا تسندا إلا لمن لمس فيه الخليفة الكفاية والقدرة. لذلك كان صاحب المدينة وصاحب الشرطة يتمتعان بمكانة خاصة لدى الخليفة ندرتها من خلال ترتيب جلوسهما أيام المناسبات والاعياد والاحتفالات، حيث كان متولي هاتين الوظيفتين على قدر كبير من الأهمية. وفي هذا البحث سنتعرف على بعض تفاصيل هاتين الوظيفتين فضلاً عن صفات واختصاصات متولي كل منهما، والتداخل الموجود بين صلاحياتهما مما دفع بعض مؤرخينا إلى الخلط بينهما، وهذا ما سنلاحظه في تفاصيل هذا البحث، معتمدين المنهج التحليلي الذي يعني الاستقصاء المنهجي والتحليلي لوجهات النظر العديدة التي وردت في كتب التاريخ الأندلسي وكتب التراجم.

* قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة الموصل .

ذكر حسين مؤنس في كتابه فجر الأندلس انه كان يوجد في النظام السائد في الأندلس قبل الفتح الإسلامي حاكم خاص للمدينة يسمى Defensor Civitatis أي حامي المدينة أو حارسها، ثم أصبحت في عجمية أهل الأندلس Zahal Medina أو Zafal Medina أو Zalmedina أي صاحب المدينة، واستمر هذا المصطلح متداولاً ومعمولاً به في ظل الحكم الإسلامي للأندلس^(١).

ولكن على الرغم من ان المسلمين قد ورثوا هذا المصطلح عن القوط والرومان، الا ان المصادر الإسلامية لم تستخدمه بوضوح إلا في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ / ٨٢٢-٨٥٢م)، ولعل هذا راجع إلى ان هذا الأمير هو المنظم للجهاز الإداري للدولة الأموية في الأندلس، بالإضافة إلى ان منصب "صاحب المدينة" كان متداولاً مع غيره من المناصب، ولم يصبح مستقلاً بذاته الا في أوائل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وذلك عندما ميز الأمير عبد الرحمن الأوسط ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة^(٢).

وكان لصاحب المدينة في الأندلس دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والقضائية في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين، إلا ان هذه الوظيفة او الخطة لم تحظ بعناية المؤرخين المحدثين بما هي جديرة به. ووظيفة صاحب المدينة هي احدى الوظائف او الخطط الدينية التي تخول صاحبها حق إصدار الأحكام القضائية في حدود المسائل والمنازعات الداخلة في عموم اختصاصه والبت فيها، وان اقتضى الأمر استطلاع رأي الفقهاء فيها. ومن يشغل هذه الوظيفة يسمى "حاكم المدينة" أو "متقلد المدينة" وكذلك "والي المدينة" ولكن المصطلح الذي اشتهر وراج استخدامه هو "صاحب المدينة"^(٣).

(١) حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (٧١١-٧٥٦م)، (ط٣، القاهرة، دار الرشاد، ٢٠٠٥م)، ص ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤م): ٤٥/١-٤٦؛ وينظر: سيمون الحايك، عبد الرحمن الأوسط، (دمشق، د.ت)، ص ٩٩.

(٣) محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب المدينة في الأندلس، مجلة معهد التربية للمعلمين، العدد الأول، الكويت، ١٩٧٩م، ص ٥٤.

ويبدو ان وظيفة او خطة صاحب المدينة لم تكن على وتيرة واحدة في التاريخ الأندلسي، ففي بعض الفترات كانت تجمع مع صاحب الشرطة في وظيفة واحدة، وفي فترات أخرى تبدو مستقلة عن صاحب الشرطة، وهذا ما سنلاحظه في تفاصيل هذا البحث.

لقد خلط بعض المؤرخين بين وظيفة او خطة المدينة والشرطة فجعلوهما خطة واحدة^(١)، ولعل هذا الخلط راجع إلى التداخل في صلاحيات متولي هاتين الخطين ولاسيما في المحافظة على الأمن والنظام. يقول ابن سعيد الأندلسي: "وأما خطة الشرطة بالأندلس فانها مضبوطة إلى الآن، معروفة بهذه السمة، ويعرف صاحبها في ألسن العامة بصاحب المدينة وصاحب الليل* وإذا كان عظيم القدر عن السلطان كان له القتل لمن يجب عليه دون استئذان السلطان، وذلك قليل، ولا يكون إلا في حضرة السلطان الأعظم، وهو الذي يحدث من الزنا وشرب الخمر وكثير من الأمور الشرعية راجع إليه، وقد صارت تلك عادة تقرر عليها رضا القاضي"^(٢) وعندما تحدث ابن خلدون عن الشرطة ذكر ان صاحبها يعرف بالأندلس ب"صاحب المدينة"^(٣).

(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، (بيروت، ١٩٦٨م): ٤٤٥/١؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب: ٤٦/١؛ شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني المقرئ، فنج الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م): ٢١٨/١.

* صاحب الليل: اطلق العامة على صاحب الشرطة بالاندلس صاحب الليل، وذلك للمحافظة على الامن في العاصمة والاقاليم، ومطاردته للمجرمين وأهل الفساد، وكانت خطته تسمى خطة الطوائف بالليل، لأنه كان يبعث العسس في الأزقة والشوارع والدروب للقبض على اللصوص ومنتهكي القوانين ليلاً. ينظر: المقرئ، فنج الطيب: ٢٠٣/١؛ احمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٩م): ٢٤٢/٨؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ وحضارة الإسلام في الاندلس، (الاسكندرية، دار النهضة، ١٩٧٥م)، ص ٣٢٨؛ احمد الطاهري، قرطبة في عصر الخلافة، (الدار البيضاء، د.ت)، ص ٥٢.

(٢) المغرب في حلى المغرب: ٤٨/١.

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، (دم، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٦م): ٦٥٤/٢.

من هذين النصين يتبادر إلى الذهن بان صاحب الشرطة هو صاحب المدينة، أو ان امتزاجاً حصل بين المنصبين لدرجة انه يصعب الفصل بينهما، وهذا ما وقع فيه بعض المؤرخين، لكن الحقيقة خلاف ذلك، فالمدينة لها موظف خاص كما هو الحال بالنسبة للشرطة، ويكفي للدلالة على ذلك ان القاضي ابن سهل الأندلسي المتوفي سنة (٤٨٦هـ / ١٠٩٣م) ذكر في نوازله المسماة (الأحكام الكبرى) ان هناك خطأ سناً تجري على يد أصحابها الأحكام، أولها القضاء والشرطة، وصاحب المظالم، وصاحب الرد، وصاحب المدينة، وصاحب السوق^(١)، ففصل بذلك بين وظيفتي او خطتي المدينة والشرطة، ولاشك ان ابن سهل أدري باخبار الأندلس من ابن سعيد وابن خلدون.

وقد أشار ليفي بروفنسال إلى ذلك وقال ان ابن سعيد وابن خلدون لم يضعوا تمييزاً واضحاً بين صاحب المدينة وصاحب الشرطة^(٢). فضلاً عن ما ذكره المقرئ في نفعه بهذا الخصوص^(٣).

غير ان النباهي في حديثه عن أصحاب الخطط بالأندلس الذين يمارسون الأحكام، قد جعل الشرطة خطة والمدينة خطة مستقلة عنها^(٤). وعندما نستعرض كتابات المؤرخ ابن حيان عن الاحتفالات التي تقام بمناسبة الأعياد أو الزيارات الدبلوماسية، نجد ان صاحب الشرطة يأتي في الترتيب بالجلوس بعد صاحب المدينة، من ذلك، النص الذي يشير بوضوح إلى ان وظيفة او خطة المدينة والشرطة خطتان مستقلتان عن بعض، فقد ذكر قائلاً: "وإذا قعد الخليفة للتهنئة يحجب عن يمينه صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان وتحت الوزير صاحب الشرطة محمد بن سعد وتحت صاحب الشرطة الوسطى

(١) عيسى بن سهل بن عبدالله الاسدي ابن سهل، نوازل ابن سهل (ديوان الأحكام الكبرى)، تحقيق: يحيى مراد، (القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٧م)، ص ٢٧.

(2) Levi-provencal, L'ES Pange musulmane aux siecle, (Paris, 1932), P. 88.

(٣) نفع الطيب: ٢١٨/١.

(٤) ابو الحسن المالقي النباهي، تاريخ قضاة الاندلس المسمى المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: ليفي بروفنسال، (بيروت، ١٩١٧م)، ص ٥.

محمد بن عبدالله بن ابي عامر، ويحجب عن يساره صاحب المدينة بالزهراء محمد بن أفلح وتحتة أخوه صاحب الخيل زياد بن أفلح^(١).

ومن هنا ندرك ان للشرطة في الأندلس جهازاً قائماً بذاته، كما ان الشرطة بأقسامها وصلاحيات أصحابها تعطي دلالة على ضخامتها وكثرة عدد أفرادها.

كما أصبحت وظيفة (خطة) المدينة قائمة بذاتها، لها كيانها الذي يميزها عن سواها، وانا اتفق مع الرأي الذي يقول: ان الشرطة غير صاحب المدينة، وان كانت هناك علاقة كبيرة بينهما، فصاحب المدينة يرأس صاحب الشرطة وجهازه التنفيذي، وهو الذي يستخدم سلطة جهاز الشرطة في التحقيقات المدنية. كما كان له حق السيطرة على إدارة المدينة، ويعتقد انه كان يتراأس مجلس أصحاب الشرطة بأنواعها الثلاثة: العليا والوسطى والسفلى، فهم يتبعون له ويأتمرون بأمره حتى أواخر عصر الخلافة الأموية، لكنه لم يكن يملك سلطة تعيينهم أو إقالتهم، فهذه السلطة كانت بيد الخليفة فقط^(٢).

مما تقدم يتضح لنا ان وظيفة (خطة) المدينة والشرطة هما وظيفتان كانتا موجودتان في الأندلس في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وبالذات في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) ومنفصلة أحدهما عن الأخرى، فكان صاحب المدينة مستقلاً عن صاحب الشرطة ونستدل على ذلك مما أورده ابن حيان في أحداث سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م، بقوله: "نظر الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان مع صاحب الشرطة والسوق احمد بن نصر فيما عهد به الخليفة المستنصر بالله

(١) ابو مروان حيان بن خلف بن حيان، المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص ٢٢، ٣٠، ٤٩، ٧٣، ٧٥، ٨٨، ١٥٥، ١٧٢، ١٨٤.

(٢) محمد عبد الوهاب خلاف، صاحب الشرطة في الاندلس، مجلة أوراق، المعهد الاسباني العربي للثقافة، العدد الثالث، السنة ١٩٨٠م، ص ٩٩؛ سحر عبدالمجيد المجالي، الشرطة في الاندلس في عهد الدولة الاموية الثانية، مجلة المنارة، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، ٢٠٠٨م، ص ١٧؛ احمد صالح محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية (٩٢-٨٩٧هـ/ ٧١١-٤٩٢م)، تقديم: زبيدة محمد عطا، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٧م)، ص ٦٦.

من نقل دار البرد التي بغربي قصر قرطبة إلى دار الزوامل بغربي المجلس عند قصر الناعورة^(١).

وعليه لابد من الوقوف على تفاصيل كل من هاتين الوظيفتين لنعرف صفات وصلاحيات متولي كل منهما، والتي كانت سبباً لدى بعض مؤرخينا للخلط بينهما وعدم التمييز بين صاحب المدينة وصاحب الشرطة.

فالشرطة نظام أمني قديم قام في الدولة الإسلامية مع نشأتها الأولى، وإن كانت هذه النشأة بسيطة في بدايتها، ولكنها تطورت بتطور ونمو الدولة الإسلامية كمعظم النظم الإدارية والقضائية والمالية في زمن النبي محمد (ﷺ) والخلفاء الراشدين.

وكلمة الشرطة كلمة عربية الأصل وليست دخيلة وإن لم يستخدمها العرب إلا بعد الإسلام، غير أنها لم ترد في كتاب الله العزيز، وإنما وردت فيه كلمة (الاشراط) التي أخذت الشرطة من معناها، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾^(٢). وكلمة الاشرط في الآية الكريمة جمع مفرده شرط وهي علامات الساعة وقيل مقدماتها وأوئلهما، كما جاء في شعر ابن العربي قائلًا:

تشابه اعناق الأمور وتلتوي مشاريط ما الأورد عنه صواد^(٣)

كما وردت كلمة الاشرط في أحاديث نبوية كثيرة بنفس المعنى الواردة في القرآن الكريم^(٤)، من ذلك، الحديث الذي جاء عن انس بن مالك، قال: قال رسول الله (ﷺ) "من اشراط الساعة ان يرفع العلم، ويثبت الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزنا"^(٥).

(١) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص ٦٦.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٨.

(٣) محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ٤٤.

(٤) محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الاسلام إلى اواخر القرن ٤ هـ، (الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م)، ص ٣١.

(٥) صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٥٨، رقم الحديث ٦٧.

فالشرطة لغة: تعني العلامة وجمعها اشراط، ونقول أشراط فلان نفسه اعلمها له واعدها ومنها سُمِّي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها والواحد شرطي وشرطة^(١).

فكلمة الشرطة إذن مأخوذة من الاشرط بمعنى العلامات، واشراط الشيء أوائله وان المعنيين متقاربين لأن أول الشيء يكون علامة له وعلامة الشيء تكون عادة في أوله^(٢).

وقد حدث تطوراً هاماً في وظيفة (خطة) الشرطة أثناء إمارة الأمير عبد الرحمن الأوسط، حيث اهتم الأمير بالأمن الداخلي للأندلس وبصورة خاصة بأمن العاصمة قرطبة التي اتسعت إحيائها كثيراً، ونمت أرباضها، وتعددت مشاكلها. فقد فصل خطة الشرطة عن خطة السوق، وحصر صلاحيات صاحب السوق في مراقبة الأسواق والتجار والاهتمام بقضايا الغش والمكاييل والموازين وغيرها بعدما كانت تشمل جميع شؤون قرطبة الأمنية والبلدية، وأقام نظاماً مستقلاً للأمن يرأسه موظفان كبيران يدعى أحدهم صاحب الشرطة ويضطلع بمهام الأمن الداخلي، والثاني صاحب المدينة المنوط إليه الاهتمام بأمور البلدية. وفي ذلك يقول ابن الأبار: "كان عبد الرحمن الأوسط أول من فخم السلطنة بالأندلس، فنظم الشرطة، وميّز ولاية المدينة عن ولاية السوق"^(٣). وأكد ابن سعيد ذلك في قوله: "هو الذي ميّز ولاية السوق عن أحكام الشرطة المسماة بولاية المدينة، فأفردها وصيّر لواليتها ثلاثين ديناراً في الشهر ولوالي المدينة مائة دينار، وكان يقال لأيامه أيام العروس"^(٤).

(١) الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام، ص ٣٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٣) محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي ابن الأبار، الحلة السيرة، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م): ٢٣٠/١-٢٣١؛ وينظر: عبد المجيد نعنعي، تاريخ الدولة الاموية في الاندلس، (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م)، ص ٢٤٣-٢٤٤؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، (الاسكندرية، دار النهضة، ١٩٧١م): ٥٦/١.

(٤) المغرب في حلى المغرب: ٤٦/١.

وعلى الرغم من تعدد الإشارات إلى الشرطة في المصادر الأندلسية وكتب التراجم، في عهد الدولة الأموية، إلا أنها كانت معلومات قليلة عن هذه الوظيفة واختصاصاتها، فلم تذكر المصادر إلا مجرد أسماء أو ألقاب من تقلدها، وذكرت معلومات مقتضبة ونادرة عن أعمالهم وسلطاتهم سواء في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ / ٧٥٥-٧٨٨م) وولده هشام (١٧٢-١٨٠هـ / ٧٨٨-٧٩٦م) أو في بقية عهود الأمراء والخلفاء الأمويين.

وكانت الشرطة في الأندلس تنقسم إلى ثلاث شرط هي: شرطة كبرى، وشرطة وسطى، وشرطة صغرى^(١). ويؤكد ابن سهل هذا التقسيم فيقول: "هكذا نص بعض المتأخرين من أهل قرطبة في تأليف له"^(٢). وإن كان ابن خلدون يرى أن الشرطة انقسمت إلى شرطتين فقط هما: الشرطة الكبرى والشرطة الصغرى^(٣)، إلا أن قول ابن سهل في هذا الأمر أصوب وأرجح بحكم معاصرته لهذا العصر والأحداث الواقعة فيه.

وقد جعل لصاحب الشرطة الكبرى الحكم على أهل المراتب السلطانية والضرب على أيديهم في الظلمات، وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجاه^(٤). وصاحب الشرطة يختص هنا بأمر الشخصيات الكبيرة من ذوي المكانة الرفيعة في الدولة، وله الحق في النظر والحكم في القضايا والجرائم التي تحدث بين أفراد الطبقات العليا من أهل الأندلس والخاصة منهم. وقد جاء ذكر هذه الوظيفة في نقش أثري بتاريخ ٣٥٩هـ / ٨٧٠م، على علية اسطوانية الشكل من العاج ذات غطاء مقبب من الأندلس محفوظة بمتحف فكتوريا والبرت بلندن جاء فيه: "يمن وسعادة لزيادة بن افلح صاحب الشرطة

(١) خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، ص ٧٢؛ المجالي، الشرطة في الأندلس، ص ٢١؛ احمد فكري، قرطبة في عصرها الإسلامي (الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣م)، ص ٢٢٩؛ محمد، الشرطة في الأندلس الإسلامية، ص ٨١.

(٢) نوازل ابن سهل، ص ٢٧.

(٣) المقدمة: ٦٥٤/٢.

(٤) ابن خلدون، المقدمة: ٦٥٤/٢؛ ابو زيد شلبي، تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٦٤م)، ص ١٣٦؛ احمد ثاني الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر بني الاحمر، (ابو ظبي، ٢٠٠٦م)، ص ٢٠٥؛ محمد، الشرطة في الأندلس الإسلامية، ص ٨٢.

العليا" وكان زياد بن افلح أحد موالى الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، ثم أصبح صاحب الشرطة العليا في عهد الخليفة هشام المؤيد^(١). ونظراً لأهمية هذا المنصب فقد تقلدها كبار القادة والثقات وعظماء الخاصة وكان من يليه يرشح للوزارة والحجابة، وأحياناً يحمل لقب وزير^(٢). وكان من مراسم تقليد صاحب الشرطة العليا بالحاضرة والولاية ان يتخذ مكانه بالموضع المخصص على باب السدة* بقصر الخلافة، وهو ما يعرف بكرسي الشرطة^(٣)، الذي أشار إليه ابن خلدون بقوله: "ونصب لصاحب الشركة الكبرى كرسي بباب دار السلطان، ورجال يتبؤون المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها إلا في تصريحه^(٤)".

-
- (١) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، (القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٦م): ٦٨٤/٢؛ محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ٨٢.
- (٢) خلاف، صاحب الشرطة في الاندلس، ص ٧٣؛ احمد عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١م)، ص ٢١٣؛ محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ٨٢.
- * باب السدة: الباب الرئيسي بقصر الخلافة بقرطبة، وكان مخصصاً للاستقبالات الرسمية واستعراض الجيوش ورغبة الخلفاء في الظهور لعامة الناس. ينظر: عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية، ص ٢١٣.
- (٣) المرجع نفسه، ص ٢١٣.
- (٤) ابن خلدون، المقدمة: ٦٥٤/٢؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، (القاهرة، دار الهلال، ١٩٦٨م): ٢٥١/١؛ عبد الرزاق، الحضارة الإسلامية، ص ٢١٣.

فجلس هشام بن محمد ابن عثمان على كرسي الشرطة فوق فراش المدينة على باب السدة، عند تقليده خطة الشرطة العليا^(١) بكورة بلنسية* وطرطوشة*.

أما صاحب الشرطة الصغرى فكان يتولى الحكم في قضايا عامة الناس من أبناء الطبقة الدنيا^(٢)، وكان حارث بن أبي سعيد مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية أول من ولى الشرطة الصغرى بالأندلس في أيام الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م) ولم يزل عليها إلى ان توفي سنة (٢١٢هـ/ ٨٢٨م)^(٣).

وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٧م قام الخليفة عبد الرحمن الناصر باستحداث منصب الشرطة الوسطى لتكون وسطاً بين الشرطة الكبرى والصغرى، وذلك عندما اتسع العمران في قرطبة وازداد عدد السكان في عهد الناصر، مما أدى إلى ظهور طبقة جديدة أشبه بما يسمى الطبقة الوسطى بين الخاصة والعامة. وكانت هذه الطبقة تتألف من صغار الأعيان وصغار التجار وصغار الموظفين وموظفي الخطط الإدارية والقضائية الصغرى.

(١) ابن خلدون، المقدمة، (القاهرة، مطبعة دار الشعب، د.ت)، ص ٢١٤؛ العبر: ٤٤٥-٤٤٦؛ محمود عرفة، خطة الشرطة في عهد الحكم المستنصر، مجلة المؤرخ المصري، العدد ١١، ١٩٩٣م، ص ١٧؛ محمد، الشرطة في الاندلس الاسلامية، ص ٨٢.

* بلنسية: في شرق الاندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوماً وعلى الجادة ثلاثة عشر يوماً، وهي مدينة سهلة وقاعدة من قواعد الاندلس، كثيرة التجارات وبها أسواق، وهي على نهر جارٍ ينتفع به ويسقي المزارع. وهي من أمصار الاندلس الموصوفة وحواضرها المقدمة. ينظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، تحقيق: احسان عباس، (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٥م)، ص ٩٧.

* طرطوشة: من مدن الاندلس منها إلى بلنسية مسافة مائة ميل وعشرة اميال، وهي في سفح جبل، ولها سور حصين، ولها اسواق وعمارات وضياع، وانشاء المراكب الكبار من خشب جبالها، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ. وعلى المدينة سور صخر من بناء بني أمية على رسم أولي قديم، ولها اربعة أبواب. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٣٩١.

(٢) احمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية: ٢٤٢/٨؛ ابو زيد شلبي، تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي، ص ١٣٦؛ زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي: ٢٥١/١؛ الدوسري، الحياة الاجتماعية، ص ٢٠٥.

(٣) عبدالله بن محمد بن يوسف الازدي ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ٢٠٠٨م)، ص ١٠٥؛ عياض بن موسى بن عياض اليعصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م): ٣٧٧/١.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى شرطة جديدة تتلائم مع هذه الطبقة الحديثة العهد، فكانت الشرطة الوسطى^(١). وكان سعيد بن سعيد بن حدير أول من تولى الشرطة الوسطى عام ٣١٧هـ/ ٩٢٧م^(٢).

ومهما يكن من أمر فالشرطة هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن الداخلي وحفظ النظام والقبض على الجناة والمفسدين وما إلى ذلك من الأعمال الاحترازية التي تكفل سلامة الناس وطمأنيتهم، فهم الساعد الأيمن للخليفة والعدة القوية للمحافظة على أرواح الناس وممتلكاتهم وصيانة حقوقهم والحفاظ على كيان الدولة وأمن المجتمع، بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وعمل التحريات اللازمة وتنفيذ العقوبات^(٣).

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته عن وظيفة الشرطة قائلاً: "كان النظر في الجرائم وإقامة الحدود في الدولة العباسية والأموية في الأندلس والعبديين بمصر والمغرب، راجعاً إلى صاحب الشرطة، وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول، توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلاً، فيجعل للتهمة في الحكم مجالاً، ويفرض العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثابتة في مجالها، ويحكم في القود والقصاص، ويقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة^(٤). ومنصب صاحب الشرطة من المناصب الكبيرة في الدولة وكان العديد يشغلون هذا المنصب عدة سنوات ثم يتقلدون بعده مناصب أكبر^(٥)، لذلك كان متولي وظيفة أو خطة الشرطة يختار من ذوي المكانة الاجتماعية والكفاية العسكرية والحنكة الإدارية مع

(١) ابن حيان، المقتبس من أبناء اهل الاندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٤م)، تعليق ص ٢٨٦؛ الطاهري، قرطبة في عصر الخلافة، ص ٨١؛ ابراهيم الفحام، الشرطة في الاندلس، مجلة الأمن العام، العدد ١٣، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٤٢.

(٢) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وليفي بروفسنال، (ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٠م): ٣٠٣/٢؛ محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ٨٣.

(٣) احمد بن محمد بن ابي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك، (مصر، ١٣٢٩هـ)، ص ١٠٤.

(٤) المقدمة: ٦٥٣/٢.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، طبعة القاهرة، د.ت، ص ٢١٤.

قوة الشخصية والمستوى الخلقي الرفيع، فكانوا موضع ثقة الخلفاء وصندوق أسرارهم ومحل استشارتهم^(١). ولهذا كان صاحب الشرطة يتمتع بمكانة خاصة لدى الخليفة نذكرها من خلال ترتيب جلوسه أيام الأعياد والمناسبات^(٢).

ومن هنا كان لزاماً على صاحب الشرطة ان يتحلى بصفات معينة تميزه عن غيره وتساعده على القيام بأعباء مهامه. ولذا حرص حكام الأندلس على اختيار رجال الشرطة ممن عرف عنهم شدة البأس، وقوة الشكيمة، وعفة الخلق والصدق والأمانة والإخلاص في العمل، عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٣)، وذلك ان اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل.

كما ويشترط في صاحب الشرطة آنذاك ان يكون من أوثق الرجال وأظهرهم نصيحة، وانفذهم بصيرة، وأمضاهم عزيمة، وأصدقهم عفافاً، وأكفاهم أمانة، وأصحهم خيراً، وأرضاهم في العامة ديناً وأحمدهم عند الجماعة خلقاً، وأعطفهم على كافتهم رأفة، وأحسنهم لهم نظراً، وأشدهم في دين الله حق وصلابة: عالماً، بصيراً مجرباً، له نباهة في الذكر، وصيت في الولاية، معروف البيت، مشهور الحساب^(٤)، فضلاً عن كونه من أهل العصبية والاسر العريقة^(٥).

وأضاف ابن عبدون انه يجب ان يكون صاحب الشرطة أندلسي، لان الأندلسيين أنفع بأمور الناس وطبقاتهم، وهم أيضاً أعدل في الحكم وأحسن سيرة من غيرهم، وهم أنفع

(١) ابراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٧م)، ص ٣٥٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجى، ص ٣٠، ٥٩، ٨١.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٤) ابن تيمية، السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، (القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٥١م)، ص ٤-٥؛ Syed Ahmed Ali, Short History of the Saracens, (London, 1992), P. 419.

(٥) ابن خلدون، المقدمة، طبعة ٢٠٠٦، ج ٢، ص ٦٥٤؛ عصام عبد الرؤوف الفقي، تاريخ الفكر الإسلامي، (القاهرة، ٢٠٠٤م)، ص ١٠٥؛ محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ٧٨.

للسلطان وأوثق، لأن الرئيس يستحي ان يحاسب مرابطاً، أو ينكر عليه شيئاً، مما فشا له عنه في الخطة التي ولاه^(١).

ونظراً لما يتمتع به صاحب الشرطة ولاسيما العليا من مكانة، فقد كان الخليفة يكلفه بأعمال عسكرية خارج نطاق اختصاصه، وكان من بين المهام التي تطلّع بها صاحب الشرطة العليا في الأندلس، استنفار الناس للقتال وحثهم على الاستعداد له، وترغيبهم في الجهاد من أجل الدفاع عن البلاد ودرء الأخطار الخارجية عنها^(٢).

كذلك كان صاحب الشرطة العليا يكلف بمهام التفتيش على القوات المرابطة بالثغور للاطمئنان على مدى استعدادها ويقظتها لحراسة الحدود وحمائتها. ولم يقتصر دور صاحب الشرطة العليا على دعوة الناس للجهاد واستنفارهم للقتال والتفتيش على الجنود المرابطين بالثغور، بل كان يكلف بمهام قتالية ضد الثوار. ففي الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م استدعى الخليفة الحكم المستنصر بالله، صاحب الشرطة العليا هشام بن محمد بن عثمان، والناظر في الحشم زياد بن افلح إلى مجلسه الخاص مع الوزراء وأمرهما بالتأهب للخروج قائدين على صائفة العام المجردة إلى الغرب لوقف اعتداءات المجوس اليردمانيون^{*}، فنفاذا المهمة على أكمل وجه، وعادا إلى مدينة الزهراء في ذي القعدة من العام نفسه^(٣).

(١) محمد بن احمد بن عبدون التجيبي، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥م)، ص ١٦.

(٢) محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ١٣٩.

* أطلق المسلمون عليهم هذا الاسم لأنهم كانوا يشعلون النيران في كل مكان يمرون به. أما اليردمانيون فهذه تسمية محرفة من النوردمانيين (Nordman) وفقاً لعادة الاندلسيين في قلب النون إلى همزة مثل تحويلهم كلمة ناربونة إلى اربونة. ينظر: ابو بكر محمد بن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، حققه وقدم له ووضع فهارسه: ابراهيم الابياري، (الطبعة الأولى، القاهرة، دار الكتاب المصري - بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ص ٧٨-٨١؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، السفر الثاني، ص ٤٥١؛ حسين مؤنس، غارات النورمانديين على الاندلس بين سنتي (٢٢٩-٢٤٥هـ)، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد ٢، العدد ١، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٢٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ص ٨٤-٨٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجى، ص ٧٨؛ محمد، الشرطة في الاندلس الإسلامية، ص ١٤١.

وقد أشار ابن حيان إلى ذلك بقوله: "في عهد الخليفة الحكم المستنصر نفذ العهد إلى صاحب الشرطة العليا ببلنسية وطرطوشة هشام بن محمد بن عثمان بالمسير من قصر الزهراء في الجيوش، وكلف الخليفة الحكم المستنصر صاحب الشرطة بالخروج على صائفة إلى الغرب^(١)."

وليس هذا وحسب بل كان صاحب الشرطة العليا يكلف أيضاً بالاشراف وبالنظر في الانشاءات والعمائر ذات الصفة الرسمية، فقد وصل الينا نص تشييد في قرطبة بتاريخ ذي الحجة من سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م داخل المحراب بالمسجد الجامع باسم الخليفة الحكم المستنصر بالله، وقد جاء فيه ان تشييد المحراب قد تم على يدي مولاه وحاجبه جعفر بن عثمان بنظر محمد بن تمليح واحمد بن نصر وخالد بن هشام أصحاب شرطته^(٢). وكان محمد بن تمليح صاحب الرد والشرطة حظياً عند الخليفة الحكم فولاه النظر في بنيان الزيادة بجامع قرطبة^(٣).

وقد ذكر ابن عذاري ان الخليفة الناصر لما فتح طليطلة في ١٥ رجب سنة ٣٢٠هـ / ٩٣١م، بنى فيها بناءً متقناً ليكون مستقراً للقواد الملازمين المرابطين، واشرف على البنيان بها ذرّي بن عبد الرحمن قائده وصاحب شرطته^(٤). كذلك أمر الخليفة الحكم المستنصر بالله صاحب الشرطة والسوق احمد بن نصر بتشيد محراب المسجد الجامع^(٥)، كما كلفه بتوسيع الساحة العظمى لسوق قرطبة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها، واتخاذ ما يلزم ذلك من هدم الحوانيت الكبيرة^(٦).

-
- (١) المقتبس، تحقيق: الحجي، ص ٤٧، ٧٨؛ وينظر: خلاف، صاحب الشرطة في الأندلس، ص ٧٥.
 (٢) حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥، ١٩٦٦م): ٦٨٢-٦٨٣.
 (٣) ابو العباس احمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ابن ابي اصبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص ٤٩١.
 (٤) البيان المغرب: ٣١١/٢-٣١٢.
 (٥) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة ١٦٧، ص ٤٩-٥٠؛ خليل ابراهيم السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، (الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ١٩٨٧م)، ص ٣٨٢.
 (٦) ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ترجمة ١٦٧، ص ٥٠؛ السامرائي وآخرون، تاريخ العرب، ص ٣٨٢.

كما أقدم صاحب شرطة الحكم المستنصر أيضاً على توسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة بالربض الشرقي بشراء الحوانيت التي على هذه المحجة من اربابها، ثم هدمها وضمها للمحجة^(١). واسند إليه كذلك مهمات دبلوماسية إلى جانب عمله^(٢)، فضلاً عن قيامه بأعمال خيرية اجتماعية يكلفه بها الخليفة نفسه كتوزيع الاموال وتفريقها على الضعفاء والمساكين وابتناء السبيل وغيرها من أعمال البر^(٣).

ونظراً لأهمية منصب صاحب الشرطة ولمكانة صاحبها في المجتمع والدولة فقد عهد الخليفة الحكم إلى منح هذا اللقب بشكل فخري كما هو الحال مع قائد البحر عبد الرحمن بن محمد بن رماحس* الذي عرف بصاحب الشرطة العليا^(٤).

أما متولي وظيفة او خطة المدينة فكان يختار أيضاً من ذوي الكفاية والخبرة بأمر الناس مع حسن السيرة والسلوك^(٥). فعندما يودع عبد الرحمن الثالث بالخلافة تولى أخذ البيعة له الخاصة والعامة، صاحب المدينة آنذاك موسى بن محمد بن حدير وولاه الوزارة اضافة إلى ما كان إليه من خطة المدينة^(٦)، واستخلفه في القصر في أول غزواته عندما خرج إلى معاقل جيان من قصر قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان^(٧).

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجى، ص ٦٦، ٧١.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق: الحجى، ص ٢٠-٢١، ٤٦-٤٧.

(٣) المصدر نفسه، تحقيق: الحجى، ص ٧٧.

* هو القائد العام للاساطيل الاندلسية ويلقب بصاحب البحر، ينتمي هذا القائد إلى أسرة الرماحس بن عبد العزيز الكناني، كان والياً على الجزيرة الخضراء في عهد الامير عبد الرحمن الداخل ثم ثار عليه فأرسل إليه الامير وزيره عبدالله بن خان على رأس جيش فأضطر إلى الفرار في موكب ولجأ إلى بلاط الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجى، ص ١٠٥؛ مجهول، اخبار مجموعة، (مدريد، ١٨٦٧م)، ص ١١٢.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجى، ص ٨٧.

(٥) ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص ١٨.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٥٨/٢.

(٧) المصدر نفسه: ١٦٠/٢.

وكان صاحب المدينة يتمتع بمكانة خاصة لدى الخليفة الحكم المستنصر^(١)، تبدو لنا من خلال ترتيب جلوس متوليها أيام المناسبات والاعياد والاحتفالات حيث ان صاحب هذا المنصب كان على قدر كبير من الأهمية^(٢)، إذ انها لا تسند إلا لمن لمس فيه الخليفة الكفاية والقدرة.

وفي خلافة هشام المؤيد أمر بصرف المصحفي عن المدينة وكانت في يده يومئذ، وملك ابن ابي عامر الباب بولايته للشرطة وضبط المدينة ضبطاً، وكان بين المصحفي وغالب الناصري صاحب مدينة سالم* وشيخ الموالي وفارس الاندلس، عداوة عظيمة ومباينة شديدة، ومقاطعة مستحكمة، وأعجز المصحفي أمره وشكا ذلك إلى الوزراء فأشاروا عليه بملاطفته واستصلاحه وشعر بذلك ابن ابي عامر فأقبل على خدمته وتجرد لاتمام إرادته ولم يزل على ذلك حتى خرج الأمر بأن ينهض غالب إلى قيادة جيش الثغر، فخرج أمر الخليفة هشام بصرف المصحفي عن المدينة ومنح ابن ابي عامر ولاية الشرطة دون علم المصحفي^(٣).

وقد وصف ابن عذاري ذلك اليوم بقوله: "خرج محمد بن ابي عامر نحو كرسيهما (كرسي الشرطة) في هذا اليوم والخلع عليه ولا عند جعفر علم بذلك وكان محمد بن جعفر جالساً في مجلسها (مجلس الشرطة) في أبهة إذ صعد ابن ابي عامر نحوه فولى محمد بن جعفر ناكصاً على عقبيه"^(٤).

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجى، ص ٢١٩.

(٢) المصدر نفسه، تحقيق: الحجى، ص ٣٠، ٨١، ٩٤، ١١٩، ١٣٦، ١٥٥.

* مدينة سالم، بالاسبانية Medinaceli : تقع شمالي مدريد بنحو ١٣٥ كم في الطريق بين مدينتي مدريد وسرقسطة، وهي الآن من اعمال مقاطعة سرية Soria ومدينة سالم قديمة البنيان وقد عرفت في العصر الروماني باسم Ocialis، ولما فتح العرب الاندلس، عمّر هذه المدينة سالم بن ورمال. ينظر: ابو عبدالله محمد الادريسي، صفة المغرب واراض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق: دي غوية ودوزي، (لين، ١٨٦٤م)، ص ١٨٩.

(٣) المقرئ، نفح الطيب، طبعة بيروت ١٩٦٨م، ج ٤، ص ٨٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٦٦.

من هذا النص نلاحظ ان وظيفة صاحب الشرطة وصاحب المدينة كانتا تجمعان في وظيفة واحدة أحياناً في عهد الخليفة هشام المؤيد. وقد ذكر ابن عبدون في رسالته صفات صاحب المدينة بقوله: "يجب ان يكون عارفاً بأمور الناس وطبقاتهم ذلك لأنه أعدل في الحكم وأحسن سيرة من غيره، كذلك يجب ان يكون رجلاً فقيهاً شيخاً متعافياً عن أموال الناس لا يقبل الرشوة، وللقاضي ان يستخلفه في بعض الأيام ويطلع على حكمه وسيرته ويجب عليه الا ينفذ أمراً من الأمور الكبار إلا ان يعرف القاضي والسلطان بذلك^(١).

وكان لصاحب المدينة اختصاصات معينة منها دور المحقق في قضايا القتل، مثال ذلك ما ذكره ابن سهل في قضية الحاج ابي مروان عبد الملك بن زيادة الله بن نصر التميمي الطبني* الذي أصبح مقتولاً في فراشه في داره بالريض الشرقي بقرطبة بحومة مسجد الأمير في آخر شهر ربيع الأول من سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م، فقد ذكر ان الوزير

(١) رسالة في القضاء والحسبة، ص ١٦.

* هو ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله أبي مضر بن علي السعدي التميمي الحماني الطبني، وهو من اهل بيت جلالة ورياسة ومن أهل الحديث والادب إمام في اللغة شاعر وله رواية وسماع في الاندلس. رحل إلى المشرق غير مرة وسمع بمصر والحجاز ومات بقرطبة بعد سنة ٤٥٠ هـ مقتولاً. ينظر: ابي عبدالله محمد بن ابي نصر فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس. (مصر، الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٦م)، رقم الترجمة: ٦٢٩، ص ٢٨٤.

أبا الوليد بن جهور* أمر صاحب المدينة محمد بن هشام الحفيد بالذهاب للتحقيق في ذلك ويشاوره في هذا ابن عناب* وابن القطان*، وابن مالك*، وقاضي قرطبة.

ويتبين لنا من اختصاصات صاحب المدينة بوصفه محققاً انه يقوم بالمعاينة وإثبات الحالة سواءً بالنسبة إلى عدد الطعنات الموجودة في جثة القتيل والدماء التي تظهر على ملابسه وملابس أهله وامتعته أو بالنسبة إلى الآلة الحادة المستخدمة في القتل وتعب آثار الجاني واستجواب الحاضرين ومواجهة بعضهم ببعض، وكذلك كان له سلطة توجيه الاتهام وتنفيذ الحكم في القضايا قليلة الخطورة بعد تمحيص الأدلة.

ونظراً لفخامة منصب صاحب المدينة، فإن المهام المناطة به تبدو جسيمة تتناسب وأهمية المنصب، ولعل من أعظم المهام الملقاة على صاحب المدينة، ان الأمير

* هو ابو الوليد محمد بن ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور الذي ولي الأمر في قرطبة بعد وفاة ابيه سنة ٤٣٥هـ، وسموه الرشيد وامتدت إمامته حتى خلفه ابن مرتين قائد المعتضد ابن عباد في سنة ٤٦٢هـ، ثم نفي مع افراد أسرته إلى جزيرة قلطيوش. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٢/٣-٢٣٤، ٢٥٥-٢٦١.

* هو الفقيه محمد بن عناب بن محسن يكنى أبا عبدالله كان شيخاً أهل شورى في زمانه وعليه مدار الفتوى في وقته، دعي إلى قضاء قرطبة مراراً فأبى في ذلك وامتنع وكان قد دعي قبل ذلك إلى قضاء طليطلة والمرية فاستعفاها، قدمه القاضي ابو المطرف ابن بشير إلى الشورى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م، ولد سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م وتوفي سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م وشهد جنازته المعتمد على الله محمد بن عباد ومشى راجلاً. ينظر: ابو القاسم خلف ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٥٥م): ٥١٥/٢، رقم الترجمة: ١١٩٤؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك، تحقيق: احمد بكير محمود، (بيروت، د.ت): ٨١٠/٢-٨١٣.

* هو ابو عمر احمد بن محمد بن عيسى بن هلال يعرف بابن القطان من أهل قرطبة، توفي سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م وكان زعيم المفتين بها، يكنى ابا عمر ومولده سنة ٣٩٠هـ وقدمه المستظهر للشورى سنة ٤١٤هـ على يدي قاضيه عبد الرحمن بن بشر وكان اكثر اهل زمانه بالاندلس علماً وحفظاً واستنباطاً، قال عنه ابن حيان كان احفظ الناس للمدونة والمستخرجة. ينظر: ابن بشكوال، الصلة: ٦٤/١-٦٥ رقم الترجمة: ١٣٠؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك: ٨١٣/٤.

* هو عبيدالله بن محمد بن مالك يكنى أبا مروان كان حافظاً للمسائل والحديث ومعاني القرآن وتفسيره عالماً بوجود الاختلاف بين فقهاء الامصار والمذهب كثير الورع مجاهداً متواضعاً في أموره كلها، له مختصر في اللغة. توفي في قرطبة سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م وعمره ستون سنة. ينظر: ابن بشكوال، الصلة: ٢٩٢/١، ترجمة: ٦٧٠؛ القاضي عياض، ترتيب المدارك: ٨١٣/٤-٨١٥.

أو الخليفة عندما كان يتغيب عن العاصمة أو عن مقره في حملة عسكرية أو لأي سبب آخر كان يترك أحد أبنائه سواء أكان ولي العهد أو غيره على سطح القصر، ويجعل صاحب المدينة ملازماً له على الدوام، ويكون من حقه منع الابن من مغادرة السطح حتى وإن اضطر إلى تهديده بوضع قيد الحديد في رجله، وهذا ما كاد يفعله صاحب المدينة أمية بن عيسى بن شهيد بأحد أبناء الأمير محمد بن عبد الرحمن^(١). الأمر الذي يعطي دلالة أكيدة على قوة شخصية صاحب المدينة، حتى أنه لم يأبه بولد الأمير مادام في الأمر مصلحة للدولة.

ومما يدل على نزاهة صاحب المدينة أمية بن عيسى بن شهيد وقوة شخصيته أنه وقف أمام رغبة الأمير محمد عندما أمره بحبس أحد أهل العلم. والقصة كما رواها ابن القوطية تدور حول فقيه كان يقطن في إحدى الكور، لكنه فرّ من عاملها إلى قرطبة، فكتب ذلك العامل للأمير محمد بن عبد الرحمن كتاباً يغيره فيه بذلك الفقيه، ويزين له ضمه إلى السجن، فأصدر الأمير أوامره لأبن شهيد بحبس ذلك الفقيه، فردّ عليه قائلاً: لا والله ما أحبس رجلاً من أهل العلم والرواية، فرّ من جور ظالم مشهور بالظلم، ولو كان فيه خير ما فرّ مثله عنه^(٢) فما كان من الأمير إلا أن عدل عن رأيه وكتب إلى ذلك العامل كتاباً يوبخه فيه على فعله.

ومن اختصاصاته أيضاً الإشراف على السجن العام (سجن المطبق في العاصمة قرطبة)، وما يدور فيه وإخراج بعضهم بأمر الأمير أو الخليفة، وإذا مات قاضي الجماعة أو عزل، تولى صاحب المدينة قبض ديوان القاضي، ويتحفظ عليه حتى يعين الأمير قاضٍ آخر. كما كلف الخليفة الحكم المستنصر صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان ببعض الأمور الخاصة بأسرته مثل متابعة أخبار وأخوته الأموات ليصرف أحوالهم وأحوال ابنائهم وأهليهم ومعرفة أخبارهم. وقد خصص لذلك يوم من كل أسبوع وإبلاغ صاحب المدينة بكل شيء، ليرفع ذلك بتفاصيله للخليفة ليرى فيه رأيه^(٣).

(١) خلاف، صاحب المدينة في الأندلس، ص ٥٤.

(٢) تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩٨-٩٩.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: الحجي، ص ٨٨، ٩٢.

ومن جملة اختصاصات صاحب المدينة أيضاً القاء القبض على بعض الجماعات المستخفين بأعراض الناس ونشر مثلهم في أشعار، وكان من بين المستخفين يوسف بن هارون البصيري الشاعر المعروف بأبي جنيش وتعني (الرماد) ومن هنا عرف بالرمادي^(١).

ومن مهامه أيضاً أخذ البيعة الخاصة والعامة للأمير عند توليه للامارة، وعندما يكون هناك وفد رفيع المستوى يقوم بزيارة رسمية للدولة، فان الخليفة يصدر اوامره لصاحب المدينة، بان يجمع فتيان قرطبة واحداثها، ويظهروا قوتهم للوفد الزائر، وذلك من خلال حملهم السلاح وهذا ما قام به الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان المصحفي في الاحتفال الذي اقيم بمناسبة وفود جعفر ويحيى ابني علي بن حمدون على الخليفة الحكم المستنصر بالله، وذلك في أواخر شهر ذي القعدة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧١م^(٢).

وكذلك تقديم الخلع والهبات للوافدين على الخليفة، ويشرف على نقل بعض الاجهزة الادارية من موقع لآخر، ومعاقبة المفسدين ومثيري الفتن بحبسهم وتفقد الفارين منهم، وكذلك مطاردة أهل البدع والتضييق عليهم واخافتهم والزج بمن قبض عليه منهم في السجن^(٣).

وبأمر من الخليفة يتولى صاحب المدينة اذلال وتوبيخ من سخط عليه الخليفة، حتى وان كان من كبار رجالات الدولة، فضلاً عن تنفيذه أوامر الأمير أو الخليفة باستتفار الناس للجهاد، ولا يأذن لأحد بالتخلف إلا اذا كان من اهل الاعذار، أو ان صاحب المدينة تغاضى عنه شريطة الا يخرج من داره حتى يعود الجيش الغازي، ومن فرّ من ارض المعركة فأن صاحب المدينة يتولى مسؤولية القبض عليه بأمر من الأمير أو الخليفة، واذا صدرت الاوامر بصلبهم تولى الاشراف على تنفيذه، كما انه يتولى مصادرة من نكب من رجالات الدولة ومصادرة المقربين إليه^(٤).

(١) المصدر نفسه، تحقيق: الحجى، ص ٧٣-٧٥، ١٠٤.

(٢) خلاف، صاحب المدينة في الأندلس، ص ٥٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٦.

من خلال ما تقدم نلاحظ ان الاعمال التي يقوم بها صاحب المدينة قد تكون مماثلة للاعمال التي يقوم بها صاحب الشرطة، لذا فان هناك تداخل في صلاحياتهما وهذا ما دفع بعض من مؤرخينا القدامى للخلط بينهما. وهذه الصلاحيات هي أشبه بالاعمال التي يمارسها جهاز الشرطة ومكافحة الاجرام في الوقت الحاضر. ونظراً لحساسية منصب صاحب المدينة فقد يتعرض أحياناً للقتل والضرب، ففي نهاية القرن الرابع الهجري ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م وعند قيام ثورة ابن عبد الجبار كان لابد للثوار من اقتحام قصر الخليفة هشام المؤيد والقبض على صاحب المدينة عبدالله بن عمر في مجلسه^(١) عند باب القصر، ثم امر ابن عبد الجبار بضرب عنقه بين يديه^(٢). وقد ذكر ليفي بروفسال ان هذا اللقب (صاحب المدينة) ظل متخذاً منذ نهاية القرن الحادي عشر في اراجون وغيرها تحت تسمية Sahib al - madina أي صاحب المدينة، وكانت له في ظل الحكم المسيحي نفس اختصاصات ومهام صاحب المدينة في الاندلس^(٣).

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٥/٣.

(٢) لسان الدين ابو عبدالله محمد السلماني ابن الخطيب، اعمال الاعلام فيمن ببيع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، نشر تحت عنوان: تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق: ليفي بروفسال، (٢، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦م): ١٠٩-١١٠.

(3) L'ES Pagne Musalmane aux siecle, P. 159.

The Jobs of The City and the Police in Andalusia and the Views of Some Historian In Them

Assist. Prof. Dr. Barzan Moyassar Hamid Al-Hameed

Abstract

The present study concert the jobs (plans) of city and police in Andalus in that are of the distinguished plans of the state and the ambiguity faced some historians who considered them one job (plan).

Through some of the narrations we have, it was clear that the city mayer job (plan) was not of one direction in Andalus history in that it was unified with that of the police in chief one time and independent on the others.

The research is also dealt with the features and characteristics of the mayer and the police in chief in detail and the authorities of both given by the princer and Khaliffs of Bany Umayh in Andalus.